

وحدانية الله

حضرة عبد البهاء

النسخة العربية الأصلية



وحدانية الله

أقيمت في كنيسة الموحدين في مونتكلر بتاريخ 12 أيار 1912

هو الله

أريد في هذا المجمع المحترم أن أتكلّم عن الألوهية.

من الواضح أنّ الحقيقة الحادثة لا تستطيع إدراك الحقيقة القديمة. حينما نمنع النظر في الكائنات نرى أنّ تفاوت المراتب مانع يحول دون إدراك المقامات.

مثال ذلك عالم الجماد مهما ارتقى فإنّه لن يتّلع على عالم النبات وعالم النبات مهما نشأ ونما فإنّه لن يعلم شيئاً عن عالم الحيوان. وعالم الحيوان مهما ارتقى فإنّه لا يستطيع إدراك السّمع والبصر لأنّ هذا خارج عن نطاق إدراكه ومع أنّه في حيز الوجود ولكنّه لا علم له عن عالم الإنسان لأنّ عالم الإنسان فوق مقامه ولهذا فإنّه مهما يرتقى فلن يستطيع إدراك الحقيقة الإنسانية.

إنّ تفاوت المراتب مانع عن الإدراك إذن فإنّ كلّ رتبة دانية لا تستطيع إدراك ما فوقها مع أنّ الجميع كلّهم في حيز الحلقة سواء أكان منها الجماد أم النبات أم الحيوان أم الإنسان مع هذا فإنّ تفاوت المراتب مانع يحول دون هذا الإدراك.

ومثلاً هذا النبات موجود ونحن على اطلاع من ذلك فما السّبب في اطلاعنا هذا؟ السّبب هو أننا في مقام فوق مقامه لكنّ هذا النبات لا علم له حولنا ومهما يرتقى فإنّه لن يحيط بالسّمع والبصر وما دام تفاوت المراتب يحول في عالم الحدوث دون الإدراك إذن فكيف تستطيع الحقيقة الإنسانية المخلوقة والحادثة أن تدرك حقيقة الألوهية؟

إنّ هذا غير ممكن، لماذا؟ لأنّ حقيقة الألوهية مقدّسة عن الإدراك. وفضلاً عن هذا إنّ كلّ ما يتصوّره الإنسان إنّما هو محاط وحقيقة الألوهية محيطة. فهل يمكن أن يدرك المحاط المحيط؟ فمن المستحيل أن تصبح الحقيقة الإنسانية محيطة وتصبح حقيقة الألوهية محاطة في حين أنّ الإنسان محاط وحقيقة الألوهية محيطة.

إذن فما يتصوّره الإنسان عن الألوهية ليس من الألوهية في شيء لأنّ حقيقة الألوهية لا يمكن تصوّرها لهذا تبعث الرّحمة الكلية الإلهية مظاهر مقدّسة وتشرق على تلك المظاهر الإلهية بتجليات غير متناهية وتجعل تلك المظاهر واسطة للفيض.



ORIGINAL

والمظاهر المقدسة التي هي الأنبياء إنما هي بمثابة المرآة وحقيقة الألوهية بمثابة الشمس تسطع في تلك المرايا بأشدّ إشراق وتستفيض المرايا من تلك الشمس - شمس الحقيقة - لكن الشمس لم تنزل من علوها ولم تدخل في المرايا وغاية ما في الأمر أنّ المرايا في منتهى الصفاء والقابلية والاستعداد، والمرايا من العالم الأرضي، وحقيقة الألوهية من أفق التقديس، ومهما أشرقت حرارة الشمس واستفاضت منها المرايا وصارت ممثلة لها ومتفرعة عنها لكن الشمس لم تنزل من علو تقديسها ولم تحلّ فيها.

هذا وإنّ شمس الحقيقة تشرق على مرايا متعددة ومهما تعددت المرايا لكن الشمس شمس واحدة والفيوضات الإلهية واحدة والحقيقة واحدة والنور واحد مشرق على جميع المرايا فبعض الناس عاشق للشمس يرى تجلياتها في كلّ مرآة ولا يتقيّد بالمرايا بل هو متقيّد بالشمس وهو يعبد الشمس في آية مرآة كانت.

أما الذين ينظرون إلى المرآة وحدها فإنهم يحرمون من مشاهدة الشمس في مرآة أخرى فمثلاً أولئك الذين رأوا المرآة الموسوية وآمنوا بها قد تقيّدوا بالمرآة الموسوية حين أشرقت الشمس في المرآة المسيحية، لذا حرموا وخسروا في حين أنّ شمس الحقيقة كانت على أشدّ إشراقها في المرآة العيسوية وكانت أنوارها أظهر وأبين واليهود لا يزالون حتى الآن متمسكين بالمرآة الموسوية ومحرومين من مشاهدة شمس الحقيقة.

وخلاصة القول إنّ الشمس شمس واحدة والنور نور واحد وهي تشرق على جميع الكائنات على السواء ولكلّ كائن نصيب منها. إذن فعلينا نحن أن نعبد الأنوار من آية مرآة كانت وأن لا نكون متعصبين لأنّ التعصّب يحول دون الوصول إلى الحقيقة. وحيث إنّ الإشراق واحد لذا يجب أن تستفيض الحقائق الإنسانيّة من نور واحد وذلك الإشراق الواحد هو قوّة جامعة تجمع الجميع.

لقد أُنارت في هذا القرن النورانيّ شمس الحقيقة لجميع البشر فجعلت العيون بصيرة وجعلت الآذان سماعة وأحيت النفوس ونحن كذلك يجب أن نكون على جانب عظيم من الألفة لأنّ الكلّ مستفيضون من شمس واحدة وأشرقت أنوار شمس واحدة على الجميع لعلّ يزول هذا النزاع الذي دام ستة آلاف سنة لعلّ تزول هذه المذاهب ولعلّ تزول هذه التعديت والعداوات من بيننا فيشرق نور محبة الله ويرتبط بعضنا ببعض ليستريح كلّنا في ظلّ وحدة العالم الإنسانيّ ونأوي إلى ظلّ راية الصلح الأكبر ونكون رحماء رؤوفين بجميع البشر.

يا إلهنا الرؤوف الكريم الرحيم إنّنا عبيد عتبتك وكلّنا في ظلّ وحدانيتك وإنّ شمس رحمتك مشرقة على الكلّ وسحاب عنايتك يطر على الكلّ والطافك شاملة للكلّ وفضلك رازق لكلّ وإنّك حافظ للكلّ وناظر إلى الكلّ بنظرة المكرمة يا ربنا اشملنا أطافك التي لا تنهاى وأشعل نور الهداية وأنز العيون وامنح القلوب سروراً أبدياً وهبها روحاً جديداً وحياتاً أبديةً وافتح أبواب العرفان ولسطع نور الإيمان ووحّد الكلّ في ظلّ عنايتك واجعل الجميع متفقين ليكونوا أنواراً لشمس واحدة وأمواجاً لبحر واحد وأثماراً لشجرة واحدة يشربون من عين واحدة ويهتزون بنسيم واحد ويقتبسون أنوار واحدة إنك أنت المعطي المقتدر الوهاب.